المبحث الثالث
القوة الإسلامية تأخذ أهبتها

نشاط الاستخبارات النبوية:

«بعد غزوة بدر بدأ ﷺ يرقب أخبار قريش، ويحسب عليها تحركاتها، فله بين صفوفهم عيونٌ عليهم، فعمه العباس ما يزال تشده إليه عاطفة من الإكبار له والإعجاب به تَملك عليه مشاعره، وهو لا يفتأ يذكر له ما لاقاه من عطف عليه، ووفاء له، حتى وهو شاهر سلاحه في وجه المسلمين، لقد لقي من كريم معاملة النبي ﷺ له وهو أسيرٌ ما جعله أَسيرَ فضلِه وعبد إحسانه، فلا عجب وقد اطَّلع على دقائق تصرفات قومه أن يكتب إلى ابن أخيه مبصِّرًا، ومن قومه محذِّرًا». [غزوة أُحد للشافعي ٢٩].

«وكان العباس بن عبد المطلب (عم النبي ﷺ) قد رجع من المدينة بعد أن تم إطلاق سراحه من الأسر بالفداء الذي دفعه عن نفسه، ولكنه بالرغم من عدم إسلامه آنذاك فقد كان مخلصًا لابن أخيه النبي ﷺ، فكان يخشى عليه الدوائر، وكان لذلك يرقب حركات قريش واستعداداتها العسكرية.

وكان النبي ﷺ يتابع أخبار قريش بدقة بواسطة عمه العباس ﷺ، قال ابن عبد البر: «وكان ﷺ يكتب بأخبار المشركين إلى رسول الله ﷺ، وكان المسلمون يتقوون به بمكة، وكان يحب أن يقدم على رسول الله ﷺ فكتب إليه رسول الله ﷺ: «**إن مُقَامَكَ بمكةَ خيرٌ لك**». [الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٢/ ٨١٢].

ولما أتمت قريش تجهيزات جيشها وأخذ هذا الجيش في التحرك أرسل العباس ﷺ من مكة رسالة مستعجلة، مع أحد رجاله الأمناء، ضمَّن هذه الرسالة التفصيلات الكاملة عن حملة مكة، فذكر فيها:

١ ـ معلومات مؤكدة عن تحرك قوات المشركين نحو المدينة، واليوم الذي خرجت فيه.

٢ ـ حجم الجيش وقدراته القتالية، وهذا يعين على وضع خطة تواجه هذه القوات الزاحفة».

[غزوة أُحد لباشميل ٦٠-٦١، والسيرة النبوية للصلابي ٢/ ١٠٤].

قال الواقدي: «فَلـمَّا أَجْمَعُوا الـمَسِيرَ كَتَبَ العَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الـمُطَّلِبِ كِتَابًا وَخَتَمَهُ وَاسْتَأْجَرَ رَجُلًا مِنْ بَنِي غِفَارٍ وَاشْتَرَطَ عَلَيْهِ أَنْ يَسِيرَ ثَلاثًا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ يُخْبِرَهُ أَنْ قُرَيْشًا قَدْ أَجْمَعَتْ المَسِيرَ إِلَيْكَ فَمَا كُنْتَ صَانِعًا إِذَا حَلُّوا بِكَ فَاصْنَعْهُ، وَقَدْ تَوَجَّهُوا إِلَيْكَ، وَهُمْ ثَلاثَةُ آلافٍ وَقَادُوا مِائَتَيْ فَرَسٍ، وَفِيهِمْ سَبْعُمِائَةِ دَارِعٍ، وَثَلاثَةُ آلافِ بَعِيرٍ، وَأَوْعَبُوا مِنْ السِّلاحِ». [المغازي للواقدي ١/ ٢٠٣-٢٠٤].

كيف تلقى الرسول ﷺ نبأ الغزو:

وقد أسرع رسولُ العباس بالرسالة وجدَّ في السير، حتى أنه قطع الطريق ما بين مكة والمدينة في ثلاثة أيام، والتي تبلغ مساحتها خمسمائة كيلومتر، مع أن قَطعها ـ عادة ـ لا يتم إلا في عشرة أيام.

قال الواقدي: «فَقَدِمَ الغِفَارِيُّ فَلَمْ يَجِدْ رَسُولَ الله ﷺ بِالـمَدِينَةِ وَوَجَدَهُ بِقُبَاءَ، فَخَرَجَ حَتَّى يَجِدَ رَسُولَ الله ﷺ عَلَى بَابِ مَسْجِدِ قُبَاءَ يَرْكَبُ حِمَارَهُ، فَدَفَعَ إِلَيْهِ الكِتَابَ، فَقَرَأَهُ عَلَيْهِ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ ﷺ، وَاسْتَكْتَمَ أُبَيًّا مَا فِيهِ، فَدَخَلَ مَنْزِلَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ ﷺ، فَقَالَ ﷺ: «**فِي البَيْتِ أَحَدٌ؟**»، فَقَالَ سَعْدٌ ﷺ: **لا، فَتَكَلَّمْ بِحَاجَتِكَ**، فَأَخْبَرَهُ بِكِتَابِ العَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الـمُطَّلِبِ، وَجَعَلَ سَعْدٌ ﷺ يَقُولُ: **يَا رَسُولَ الله، إِنِّي لأَرْجُو أَنْ يَكُونَ فِي ذَلِكَ خَيْرٌ**، وَقَدْ أَرْجَفَتْ يَهُودُ الـمَدِينَةِ وَالـمُنَافِقُونَ، وَقَالُوا: **مَا جَاءَ مُحَمَّدًا شَيْءٌ يُحِبُّهُ**، فَانْصَرَفَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَى الـمَدِينَةِ وَاسْتَكْتَمَ سَعْدًا ﷺ الخَبَرَ، فَلـمَّا خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ خَرَجَتْ امْرَأَةُ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ ﷺ إِلَيْهِ فَقَالَتْ: **مَا قَالَ لَكَ رَسُولُ الله؟ فَقَالَ: مَا لَكِ وَلِذَلِكَ لا أُمَّ لَكِ؟ قَالَتْ: قَدْ كُنْتُ أَسْمَعُ عَلَيْكَ**.

وَأَخْبَرَتْ سَعْدًا ﷺ الخَبَرَ، فَاسْتَرْجَعَ سَعْدٌ ﷺ، وَقَالَ: **لا أَرَاكِ تَسْتَمِعِينَ عَلَيْنَا وَأَنَا أَقُولُ لِرَسُولِ الله ﷺ تَكَلَّمْ بِحَاجَتِكَ**، ثُمّ أَخَذَ يَجْمَعُ لَبَّتَهَا، ثُمَّ خَرَجَ يَعْدُو بِهَا حَتَّى أَدْرَكَ رَسُولَ الله ﷺ بِالجِسْرِ، وَقَدْ بَلَحَتْ (انقطعت من الإعياء فلم تقدر أن تتحرك)، فَقَالَ: **يَا رَسُولَ الله، إِنَّ امْرَأَتِي سَأَلَتْنِي عَمَّا قُلْتَ، فَكَتَمْتُهَا، فَقَالَتْ: قَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ رَسُولِ الله، فَجَاءَتْ بِالحَدِيثِ كُلِّهِ، فَخَشِيتُ يَا رَسُولَ الله أَنْ يَظْهَرَ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ فَتَظُنَّ أَنِّي أَفْشَيْتُ سِرَّكَ**، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**خَلِّ سَبِيلَهَا**».

وَشَاعَ الخَبَرُ فِي النَّاسِ بِمَسِيرِ قُرَيْشٍ، وَقَدِمَ **عَمْرُو بْنُ سَالِمٍ الخُزَاعِيُّ** فِي نَفَرٍ مِنْ خُزَاعَةَ، سَارُوا مِنْ مَكَّةَ أَرْبَعًا، فَوَافَوْا قُرَيْشًا وَقَدْ عَسْكَرُوا بِذِي طُوًى، فَأَخْبَرُوا رَسُولَ الله ﷺ الخَبَرَ، ثُمَّ انْصَرَفُوا فَوَجَدُوا قُرَيْشًا بِبَطْنِ رَابِغٍ، فَنَكَّبُوا عَنْ قُرَيْشٍ ـ وَرَابِغٌ عَلَى لَيَالٍ مِنْ الـمَدِينَةِ.

وَلـمَّا أَصْبَحَ أَبُو سُفْيَانَ بِالأَبْوَاءِ أُخْبِرَ أَنَّ عَمْرَو بْنَ سَالِمٍ وَأَصْحَابَهُ رَاحُوا أَمْسِ مُمْسِينَ إِلَى مَكَّةَ، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: **أَحْلِفُ بِالله أَنَّهُمْ جَاؤُوا مُحَمَّدًا فَخَبَّرُوهُ بِمَسِيرِنَا، وَحَذَّرُوهُ وَأَخْبَرُوهُ بِعَدَدِنَا، فَهُمُ الآنَ يَلزَمُونَ صَيَاصِيَهُمْ، فَمَا أَرَانَا نُصِيبُ مِنْهُمْ شَيْئًا فِي وَجْهِنَا**.

فَقَالَ صَفْوَانُ: **إِنْ لَمْ يَصْحَرُوا** (أصحر الرجل: أي خرج إلى الصحراء) **لَنَا عَمَدْنَا إِلَى نَخْلِ الأَوْسِ وَالخَزْرَجِ فَقَطَعْنَاهُ فَتَرَكْنَاهُمْ وَلا أَمْوَالَ لَهُمْ، فَلا يَجْتَبِرُونَهَا** (اجتبره: أحسن إليه) **أَبَدًا، وَإِنْ أَصْحَرُوا لَنَا فَعَدَدُنَا أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِهِمْ وَسِلاحُنَا أَكْثَرُ مِنْ سِلاحِهِمْ، وَلَنَا خَيْلٌ وَلا خَيْلَ مَعَهُمْ، وَنَحْنُ نُقَاتِلُ عَلَى وِتْرٍ عِنْدَهُمْ، وَلا وِتْرَ لَهُمْ عِنْدَنَا**». [المغازي للواقدي ١/ ٢٠٤-٢٠٥].

حالة الطوارئ في المدينة:

وبعد أن تأكد المسلمون من تحرك الجيش المكي نحوهم، ظلوا متيقظين، وظلت المدينة في حالة استنفار عام، على رجالها السلاح لا يفارقهم، حتى وهم في أوقات الصلاة استعدادًا للطوارئ.

وانتشر جند الإسلام حول مداخل المدينة يحرسونها، خوفًا من أن يؤخذوا على غِرَّة.

«وَبَاتَتْ وُجُوهُ الأَوْسِ وَالخَزْرَجِ: سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، وَأُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ وَسَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، فِي عِدَّةٍ لَيْلَةَ الجُمُعَةِ عَلَيْهِمْ السِّلاحُ فِي المَسْجِدِ بِبَابِ النَّبِيِّ ﷺ خَوْفًا مِنْ بَيَاتِ الـمُشْرِكِينَ وَحَرَسَتْ المَدِينَةَ تِلكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحُوا». [المغازي للواقدي ١/ ٢٠٨].

دوريات استطلاع المدينة:

وقد نشطت دوريات المسلمين لاستطلاع أخبار العدو، وكانت تضرب باستمرار في أعمالها حول الطرق التي تحتمل أن يسلطها المشركون للإغارة على المسلمين.

قال الواقدي: «وَبَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ عَيْنَيْنِ لَهُ أَنَسًا وَمُؤْنِسًا ابْنَيْ فَضَالَةَ لَيْلَةَ الخَمِيسِ فَاعْتَرَضَا لِقُرَيْشٍ بِالعَقِيقِ فَسَارَا مَعَهُمْ حَتَّى نَزَلُوا بِالوِطَاءِ، فَأَتَيَا رَسُولَ الله ﷺ فَأَخْبَرَاهُ.

وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ قَدْ ازْدَرَعُوا (زرعوا) العِرْضَ ـ وَالعِرْضُ مَا بَيْنَ الوِطَاءِ بِأُحُدٍ إِلَى الجُرُفِ، إِلَى العَرْصَةِ، عَرْصَةِ البَقْلِ اليَوْمَ ـ وَكَانَ أَهْلُهُ بَنُو سَلَمَةَ، وَحَارِثَةَ، وَظَفَرٍ، وَعَبْدِ الأَشْهَلِ، وَكَانَ المَاءُ يَوْمَئِذٍ بِالجُرُفِ أَنْشَاطًا (**بئر أنشاط**: قريبة القعر، يخرج دلوها بجذبة)، لا يَرِيمُ (لا يبرح) سَائِقُ النَّاضِحِ مَجْلِسًا وَاحِدًا، يَنْفَتِلُ (ينصرف) الجَمَلُ فِي سَاعَةٍ حَتَّى ذَهَبَتْ بِمِيَاهِهِ عُيُونُ الغَابَةِ التِي حَفَرَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ.

فَكَانُوا قَدْ أَدْخَلُوا آلَةَ زَرْعِهِمْ لَيْلَةَ الخَمِيسِ المَدِينَةَ، فَقَدِمَ الْمُشْرِكُونَ عَلَى زَرْعِهِمْ وَخَلَّوْا فِيهِ إِبِلَهُمْ وَخُيُولَهُمْ ـ وَقَدْ شَرِبَ الزَّرْعُ فِي الدَّقِيقِ، وَكَانَ لأُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ فِي العِرْضِ عِشْرُونَ نَاضِحًا يَسْقِي شَعِيرًا ـ وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ قَدْ حَذِرُوا عَلَى جِمَالِهِمْ وَعُمَّالِهِمْ وَآلَةِ حَرْثِهِمْ.

وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يَرْعَوْنَ يَوْمَ الخَمِيسِ حَتَّى أَمْسَوْا، فَلـمَّا أَمْسَوْا جَمَعُوا الإِبِلَ وَقَصَلُوا (علفوها القصيل، وهو ما اقتصل من الزرع أخضر) عَلَيْهَا القَصِيلَ، وَقَصَلُوا عَلَى خُيُولِهِمْ لَيْلَةَ الجُمُعَةِ، فَلـمَّا أَصْبَحُوا يَوْمَ الجُمُعَةِ خَلَّوْا ظَهْرَهُمْ فِي الزَّرْعِ وَخَيْلَهُمْ حَتَّى تَرَكُوا العِرْضَ لَيْسَ بِهِ خَضْرَاءُ.

فَلَمَّا نَزَلُوا وَحَلُّوا العُقْدَ وَاطْمَأَنُّوا، بَعَثَ رَسُولُ الله ﷺ **الـحُبَابَ بْنَ الـمُنْذِرِ بْنِ الـجَمُوحِ** ﷺ إِلَى القَوْمِ، فَدَخَلَ فِيهِمْ وَحَزَرَ وَنَظَرَ إِلَى جَمِيعِ مَا يُرِيدُ، وَبَعَثَهُ سِرًّا، وَقَالَ لِلحُبَابِ: «**لا تُخْبِرْنِي بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ الـمُسْلِمِينَ إلا أَنْ تَرَى قِلَّةً**»، فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَأَخْبَرَهُ خَالِيًا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَا رَأَيْتَ؟**»، قَالَ: **رَأَيْتُ يَا رَسُولَ الله عَدَدًا، حَزَرْتُهُمْ ثَلاثَةَ آلافٍ يَزِيدُونَ قَلِيلًا أَوْ يَنْقُصُونَ قَلِيلًا، وَالخَيْلُ مِائَتَيْ فَرَسٍ، وَرَأَيْتُ دُرُوعًا ظَاهِرَةً حَزَرْتُهَا سَبْعمِائَةِ دِرْعٍ**، قَالَ ﷺ: «**هَلْ رَأَيْتَ ظُعُنًا؟**»، قَالَ: **رَأَيْتُ النِّسَاءَ مَعَهُنَّ الدِّفَافُ وَالأَكْبَارُ** ـ الأَكْبَارُ يَعْنِي الطُّبُولَ ـ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَرَدْنَ أَنْ يُحَرِّضْنَ القَوْمَ وَيُذَكِّرْنَهُمْ قَتْلَى بَدْرٍ، هَكَذَا جَاءَنِي خَبَرُهُمْ، لا تَذْكُرْ مِنْ شَأْنِهِمْ حَرْفًا، حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ، اللَّهُمَّ بِكَ أَجُولُ وَبِكَ أَصُولُ**».

[المغازي للواقدي ١/ ٢٠٦-٢٠٨].

وهكذا نقلت الاستخبارات الخبر الأخير عن تحركات جيش مكة، وهو أن هذا الجيش قد سلك وادي العقيق، وانحرف منه إلى ذات اليمين وعسكر في السبخة من وادي قناة الواقع شمالي المدينة، في مكان يقع بالقرب من جبل عينين الذي سُمِّي فيما بعد بجبل الرماة.

المجلس العسكري الأعلى:

«وبعد أن تأكد الرسول ﷺ من أن المشركين قد اتخذوا السبخة من وادي قناة معسكرًا لهم، سارع إلى عقد مؤتمر عسكري استشاري أعلى لبحث الموقف، حضره جميع قادة الجيش النبوي وأهل الرأي من أهل المدينة، وقد حضر هذا المجلس عبد الله بن أُبي بن سلول (المنافق) بصفته أحد زعماء الخزرج.

وكان عقد هذا المجلس في يوم الجمعة السادس من شهر شوال سنة ٣ هـ.

مشاورة النبي ﷺ الصحابة رضي الله عنهم وإخبارهم برؤياه:

وقد دار النقاش في هذا المجلس ـ بصفة رئيسة ـ حول المكان الذي يجب أن يلقى فيه المسلمون عدوهم، وقد كان رأي النبي ﷺ أن يتحصن المسلمون بالمدينة؛ لإجبار قريش على مهاجمتها، وكان يهدف من اتباع هذه الخطة إلى أن يتبع المسلمون (في منازلة المشركين) خطة قتال الشوارع؛ لأن ذلك يُمكِّن المسلمين من إيقاع الخسائر الجسيمة بالمشركين، دون أن يتحمل المسلمون خسائر تُذكر، ذلك أن المسلمين سيقاتلون وهم متحصنون في مواقع يجهلها المشركون كل الجهل.

يُضاف إلى ذلك أن اتباع هذه الخطة يُمكِّن النساء من الاشتراك في مقاتلة المشركين بإلقاء الأحجار الثقيلة عليهم عندما يقتحمون شوارع المدينة». [غزوة أُحد لباشميل ٦٦].

عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه ، أُرَاهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**رَأَيْتُ فِي المَنَامِ [رُؤْيَايَ] [رُؤْيَا] أَنِّي أُهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ، فَذَهَبَ وَهَلِي** (وهمي وظني واعتقادي) **إِلَى أَنَّهَا اليَمَامَةُ** (بلد من بلاد الحجاز) **أَوْ هَجَرُ**(مدينة من اليمن)، **فَإِذَا هِيَ المَدِينَةُ يَثْرِبُ، وَرَأَيْتُ فِي رُؤْيَايَ هَذِهِ أَنِّي هَزَزْتُ سَيْفًا، فَانْقَطَعَ صَدْرُهُ، فَإِذَا هُوَ مَا أُصِيبَ مِنَ المُؤْمِنِينَ يَوْمَ أُحُدٍ، ثُمَّ هَزَزْتُهُ بِأُخْرَى فَعَادَ أَحْسَنَ مَا كَانَ، فَإِذَا هُوَ مَا جَاءَ اللهُ بِهِ مِنَ الفَتْحِ، وَاجْتِمَاعِ المُؤْمِنِينَ، وَرَأَيْتُ فِيهَا [أَيْضًا] بَقَرًا، وَاللهُ خَيْرٌ، فَإِذَا هُمُ المُؤْمِنُونَ [النَّفَرُ مِنَ المُؤْمِنِينَ] يَوْمَ أُحُدٍ، وَإِذَا الخَيْرُ مَا جَاءَ اللهُ بِهِ مِنَ الخَيْرِ [بَعْدُ]، وَثَوَابِ الصِّدْقِ، الَّذِي آتَانَا اللهُ بَعْدَ يَوْمِ بَدْرٍ**». [البخاري في المناقب (٣٦٢٢)، وفي المغازي (٣٩٨٧، ٤٠٨١)، في التعبير (٧٠٣٥، ٧٠٤١)، ومسلم في الرؤيا (٢٠ – (٢٢٧٢)، وابن ماجه في تعبير الرؤيا (٣٩٢١)، والدارمي في الرؤيا (٢٢٠٤)].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: تَنَفَّلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَيْفَهُ ذَا الفَقَارِ يَوْمَ بَدْرٍ، وَهُوَ الَّذِي رَأَى فِيهِ الرُّؤْيَا يَوْمَ أُحُدٍ، فَقَالَ: «**رَأَيْتُ فِي سَيْفِي ذِي الفَقَارِ فَلًّا، فَأَوَّلْتُهُ فَلًّا يَكُونُ فِيكُمْ، وَرَأَيْتُ أَنِّي مُرْدِفٌ كَبْشًا، فَأَوَّلْتُهُ**

كَبْشَ الكَتِيبَةِ، وَرَأَيْتُ أَنِّي فِي دِرْعٍ حَصِينَةٍ، فَأَوَّلْتُهَا الـمَدِينَةَ، وَرَأَيْتُ بَقَرًا تُذْبَحُ، فَبَقـرٌ وَاللهُ خَيْرٌ، فَبَقـرٌ وَاللهُ خَيْرٌ»، فَكَانَ الَّذِي قَالَ رَسُولُ الله ﷺ. [مسند أحمد ٤/ ٢٥٩ رقم ٢٤٤٥، وقال الشيخ الأرناؤوط: إسناده حسن، ورواه باختصار: الترمذي في السير (١٥٦١)، وابن ماجه في الجهاد (٢٨٠٨)].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: تَنَفَّلَ رَسُولُ الله ﷺ سَيْفَهُ ذَا الفَقَارِ يَوْمَ بَدْرٍ، وَهُوَ الَّذِي رَأَى فِيهِ الرُّؤْيَا يَوْمَ أُحُدٍ، وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ لـمَّا جَاءَهُ الـمُشْرِكُونَ يَوْمَ أُحُدٍ كَانَ رَأْيُ رَسُولِ الله ﷺ أَنْ يُقِيمَ بِالـمَدِينَةِ يُقَاتِلُهُمْ فِيهَا، فَقَالَ لَهُ نَاسٌ ـ لَمْ يَكُونُوا شَهِدُوا بَدْرًا: **تَخْرُجُ بِنَا يَا رَسُولَ الله إِلَيْهِمْ نَقَاتِلُهُمْ بِأُحُدٍ**، وَرَجَوْا أَنْ يُصِيبُوا مِنَ الفَضِيلَةِ مَا أَصَابَ أَهْلَ بَدْرٍ، فَمَا زَالُوا بِرَسُولِ الله ﷺ حَتَّى لَبِسَ أَدَاتَهُ، فَنَدِمُوا وَقَالُوا: **يا رَسُولَ الله، أَقِمْ، فَالرَّأْيُ رَأْيُكَ**، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ أَنْ يَضَعَ أَدَاتَهُ بَعْدَ أَنْ لَبِسَهَا، حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَدُوِّه**»، قَالَ: وَكَانَ مِمَّا قَالَ لَهُمْ رَسُولُ الله ﷺ يَوْمَئِذٍ قَبْلَ أَنْ يَلبِسَ الأَدَاةَ: «**إِنِّي رَأَيْتُ أَنِّي فِي دِرْعٍ حَصِينَةٍ، فَأَوَّلْتُهَا المَدِينَةَ، وَأَنِّي مُرْدِفٌ كَبْشًا، فَأَوَّلْتُهُ كَبْشَ الكَتِيبَةِ، وَرَأَيْتُ أَنَّ سَيْفِي ذَا الفَقَارِ فَلٌّ، فَأَوَّلْتُهُ فَلٌّ يَكُونُ فِيكُمْ، وَرَأَيْتُ بَقَرًا تُذْبَحُ، فَبَقَرٌ وَاللهُ خَيْرٌ، فَبَقَرٌ وَاللهُ خَيْرٌ**».

[المستدرك ٢/ ١٥٥ كتاب قسم الفيء، رقم ٢٦٤٤، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي].

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**رَأَيْتُ كَأَنِّي فِي دِرْعٍ حَصِينَةٍ، وَرَأَيْتُ بَقَرًا مُنَحَّرَةً [يُنْحَرُ]، فَأَوَّلتُ أَنَّ الدِّرْعَ الحَصِينَةَ المَدِينَةُ، وَأَنَّ البَقَرَ [نَفَرٌ] هُوَ وَالله خَيْرٌ**».

قَالَ: فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: «**لَوْ أَنَّا أَقَمْنَا بِالـمَدِينَةِ، فَإِنْ [فَإِذَا] دَخَلُوا عَلَيْنَا فِيهَا قَاتَلنَاهُمْ**».

فَقَالُوا: **يَا رَسُولَ الله! وَالله مَا دُخِلَ [دُخِلَتْ] عَلَيْنَا فِيهَا فِي الجَاهِلِيَّةِ، فَكَيْفَ يُدْخَلُ [أَفَتُدْخَلُ] عَلَيْنَا فِيهَا فِي الإِسْلَامِ**، قَالَ عَفَّانُ فِي حَدِيثِهِ فَقَالَ ﷺ: «**شَأْنُكُمْ إِذًا**»، قَالَ: فَلَبِسَ ﷺ لَأْمَتَهُ.

قَالَ: فَقَالَتِ الأَنْصَارُ [بَعْضُهَا لِبَعْضٍ]: **رَدَدْنَا عَلَى رَسُولِ الله [النَّبِيِّ] ﷺ رَأْيَهُ**، فَجَاؤُوا فَقَالُوا: **يَا نَبِيَّ الله، شَأْنَكَ إِذًا**، فَقَالَ ﷺ: «**إِنَّهُ لَيْسَ لِنَبِيٍّ إِذَا لَبِسَ لَأْمَتَهُ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يُقَاتِلَ**». [مسند أحمد ٢٣/ ٩٩ رقم ١٤٧٨٧، وقال الشيخ الأرناؤوط: صحيح لغيره، وهذا إسناد على شرط مسلم، ومجمع الزوائد ٦/ ١٥٢ كتاب المغازي والسير (١٠٠٥٧)، وقال الهيثمي: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح، وسنن الدارمي في الرؤيا (٢٢٠٥)].

وقد أعلن الرسول ﷺ رأيه هذا في ذلك المؤتمر حين «ظَهَرَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى المِنْبَرِ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي رَأَيْتُ فِي مَنَامِي رُؤْيَا، رَأَيْتُ كَأَنِّي فِي دِرْعٍ حَصِينَةٍ، وَرَأَيْتُ كَأَنَّ سَيْفِي ذَا الفَقَارِ انْقَصَمَ مِنْ عِنْدِ ظُبَتِهِ، وَرَأَيْتُ بَقَرًا تُذْبَحُ، وَرَأَيْتُ كَأَنِّي مُرْدِفٌ كَبْشًا**».

فَقَالَ النَّاسُ: يَا رَسُولَ الله فَمَا أَوَّلْتَهَا؟ قَالَ: «**أَمَّا الدِّرْعُ الحَصِينَةُ فَالمَدِينَةُ، فَامْكُثُوا فِيهَا، وَأَمَّا انْقِصَامُ سَيْفِي مِنْ عِنْدِ ظُبَتِهِ فَمُصِيبَةٌ فِي نَفْسِي، وَأَمَّا البَقَرُ الْمُذَبَّحُ فَقَتْلَى فِي أَصْحَابِي، وَأَمَّا مُرْدِفٌ كَبْشًا، فَكَبْشُ الكَتِيبَةِ نَقْتُلُهُ إِنْ شَاءَ اللهُ، وَأَمَّا انْقِصَامُ سَيْفِي، فَقَتْلُ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، وَرَأَيْتُ فِي سَيْفِي فَلًّا فَكَرِهْتُهُ**»، فَهُوَ الَّذِي أَصَابَ وَجْهَهُ ﷺ.

وَقَالَ النَّبِي ﷺ: «**أَشِيرُوا عَلَيَّ**»، وَرَأَى رَسُولُ الله ﷺ أَلا يَخْرُجَ مِنْ المَدِينَةِ لِهَذِهِ الرُّؤْيَا، فَرَسُولُ الله ﷺ يُحِبُّ أَنْ يُوَافَقَ عَلَى مِثْلِ مَا رَأَى وَعَلَى مَا عَبَّرَ عَلَيْهِ الرُّؤْيَا.

فَقَامَ عَبْدُ الله بْنُ أُبَيٍّ فَقَالَ: **يَا رَسُولَ الله، كُنَّا نُقَاتِلُ فِي الجَاهِلِيَّةِ فِيهَا، وَنَجْعَلُ النِّسَاءَ وَالذَّرَارِيَّ فِي هَذِهِ الصَّيَاصِي، وَنَجْعَلُ مَعَهُمْ الحِجَارَةَ، وَالله لَرُبَّمَا مَكَثَ الوِلدَانُ شَهْرًا يَنْقُلُونَ الحِجَارَةَ إِعْدَادًا لِعَدُوِّنَا، وَنُشَبِّكُ المَدِينَةَ بِالبُنْيَانِ فَتَكُونُ كَالحِصْنِ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ، وَتَرْمِي المَرْأَةُ وَالصَّبِيُّ مِنْ فَوْقِ الصَّيَاصِيِّ وَالآطَامِ وَنُقَاتِلُ بِأَسْيَافِنَا فِي السِّكَكِ، يَا رَسُولَ الله إِنَّ مَدِينَتَنَا عَذْرَاءُ مَا فُضَّتْ عَلَيْنَا قَطُّ، وَمَا خَرَجْنَا إِلَى عَدُوٍّ قَطُّ إِلَّا أَصَابَ مِنَّا، وَمَا دَخَلَ عَلَيْنَا قَطُّ إِلَّا أَصَبْنَاهُ، فَدَعْهُمْ يَا رَسُولَ الله فَإِنَّهُمْ إِنْ أَقَامُوا أَقَامُوا بِشَرِّ مَحْبِسٍ، وَإِنْ رَجَعُوا رَجَعُوا خَائِبِينَ مَغْلُوبِينَ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا، يَا رَسُولَ الله، أَطِعْنِي فِي هَذَا الأَمْرِ، وَاعْلَمْ أَنِّي وَرِثْتُ هَذَا الرَّأْيَ مِنْ أَكَابِرِ قَوْمِي وَأَهْلِ الرَّأْيِ مِنْهُمْ، فَهُمْ كَانُوا أَهْلَ الحَرْبِ وَالتَّجْرِبَةِ.**

وَكَانَ رَأْيُ رَسُولِ الله ﷺ مَعَ رَأْيِ ابْنِ أُبَيٍّ، وَكَانَ ذَلِكَ رَأْيَ الأَكَابِرِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ مِنْ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أُمْكُثُوا فِي المَدِينَةِ، وَاجْعَلُوا النِّسَاءَ وَالذَّرَارِيَّ فِي الآطَامِ، فَإِنْ دَخَلُوا عَلَيْنَا قَاتَلْنَاهُمْ فِي الأَزِقَّةِ، فَنَحْنُ أَعْلَمُ بِهَا مِنْهُمْ، وَارْمُوا مِنْ فَوْقِ الصَّيَاصِيِّ وَالآطَامِ**»، فَكَانُوا قَدْ شَبَّكُوا المَدِينَةَ بِالبُنْيَانِ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ فَهِيَ كَالحِصْنِ». [المغازي للواقدي ١/ ٢٠٩-٢١٠، ابن هشام ٣/ ٦٣].

النبي ﷺ يترك رأيه للأغلبية:

ولكن كثيرًا من الشباب كانوا متحمسين للخروج ومقاتلة المشركين خارج المدينة، فقد «قَالَ فِتْيَانٌ أَحْدَاثٌ لَمْ يَشْهَدُوا بَدْرًا، وَطَلَبُوا مِنْ رَسُولِ الله ﷺ الخُرُوجَ إِلَى عَدُوِّهِمْ وَرَغِبُوا فِي الشَّهَادَةِ وَأَحَبُّوا لِقَاءَ العَدُوِّ: أُخْرُجْ بِنَا إِلَى عَدُوِّنَا.

وَقَالَ رِجَالٌ مِنْ أَهْلِ السِّنِّ وَأَهْلِ النِّيَّةِ، مِنْهُمْ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ، وَسَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، وَالنُّعْمَانُ بْنُ مَالِكِ بْنِ ثَعْلَبَةَ، فِي غَيْرِهِمْ مِنْ الأَوْسِ وَالخَزْرَجِ: **إِنَّا نَخْشَى يَا رَسُولَ الله أَنْ يَظُنَّ عَدُوُّنَا أَنَّا كَرِهْنَا الخُرُوجَ إِلَيْهِمْ جُبْنًا عَنْ لِقَائِهِمْ؛ فَيَكُونُ هَذَا جُرْأَةً مِنْهُمْ عَلَيْنَا، وَقَدْ كُنْتَ يَوْمَ بَدْرٍ فِي ثَلاثِمِائَةِ رَجُلٍ فَظَفَّرَكَ اللهُ عَلَيْهِمْ، وَنَحْنُ اليَوْمَ بَشَرٌ كَثِيرٌ، قَدْ كُنَّا نَتَمَنَّى هَذَا اليَوْمَ وَنَدْعُو اللهَ بِهِ، فَقَدْ سَاقَهُ اللهُ إِلَيْنَا فِي سَاحَتِنَا.**

وَرَسُولُ الله ﷺ لِمَا يَرَى مِنْ إِلحَاحِهِمْ كَارِهٌ، وَقَدْ لَبِسُوا السِّلاحَ يَخْطِرُونَ بِسُيُوفِهِمْ يَتَسَامَوْنَ [يتبارون] كَأَنَّهُمْ الفُحُولُ.

وَقَالَ مَالِكُ بْنُ سِنَانٍ أَبُو أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِي ﷺ: **يَا رَسُولَ الله، نَحْنُ وَالله بَيْنَ إِحْدَى الحُسْنَيَيْنِ، إِمَّا يُظَفِّرُنَا اللهُ بِهِمْ فَهَذَا الَّذِي نُرِيدُ فَيُذِلَّهُمْ اللهُ لَنَا فَتَكُونُ هَذِهِ وَقْعَةً مَعَ وَقْعَةِ بَدْرٍ، فَلا يَبْقَى مِنْهُمْ إِلَّا الشَّرِيدُ، وَالأُخْرَى يَا رَسُولَ الله يَرْزُقُنَا اللهُ الشَّهَادَةَ، وَالله يَا رَسُولَ الله مَا أُبَالِي أَيَّتُهُمَا كَانَ، إِنَّ كُلًّا لَفِيهِ الخَيْرُ.**

فَلَمْ يَبْلُغْنَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَجَعَ إِلَيْهِ قَوْلًا، وَسَكَتَ.

فَقَالَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ﷺ: **وَالَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ لا أَطْعَمُ اليَوْمَ طَعَامًا حَتَّى أُجَالِدَهُمْ بِسَيْفِي خَارِجًا مِنْ المَدِينَةِ.**

وَكَانَ يُقَالُ: كَانَ حَمْزَةُ ﷺ يَوْمَ الجُمُعَةِ صَائِمًا، وَيَوْمَ السَّبْتِ صَائِمًا، فَلاقَاهُمْ وَهُوَ صَائِمٌ.

قَالُوا: وَقَالَ النُّعْمَانُ بْنُ مَالِكِ بْنِ ثَعْلَبَةَ أَخُو بَنِي سَالِمٍ ﷺ: **يَا رَسُولَ الله، أَنَا أَشْهَدُ أَنَّ البَقَرَ المُذَبَّحَ قَتْلَى مِنْ أَصْحَابِكَ، وَأَنِّي مِنْهُمْ، فَلِمَ تَحْرِمُنَا الجَنَّةَ؟ فَوَالَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لأَدْخُلَنَّهَا**، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**بِمَ؟**»، قَالَ: **بِأَنِّي أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَلا أَفِرُّ يَوْمَ الزَّحْفِ**، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**صَدَقْتَ**»، فَاسْتُشْهِدَ يَوْمَئِذٍ.

وَقَالَ إِيَاسُ بْنُ أَوْسِ بْنِ عَتِيكٍ ﷺ: **يَا رَسُولَ الله، نَحْنُ بَنُو عَبْدِ الأَشْهَلِ مِنْ البَقَرِ المُذَبَّحِ، نَرْجُو يَا رَسُولَ الله أَنْ نُذَبَّحَ فِي القَوْمِ وَيُذَبَّحَ فِينَا، فَنَصِيرُ إِلَى الجَنَّةِ وَيَصِيرُونَ إِلَى النَّارِ، مَعَ أَنِّي يَا رَسُولَ الله لا أُحِبُّ أَنْ تَرْجِعَ قُرَيْشٌ إِلَى قَوْمِهَا فَيَقُولُونَ: حَصَرْنَا مُحَمَّدًا فِي صَيَاصِيِّ يَثْرِبَ وَآطَامِهَا! فَيَكُونُ هَذَا جُرْأَةً لِقُرَيْشٍ وَقَدْ وَطِؤُوا سَعَفَنَا، فَإِذَا لَمْ نَذُبَّ عَنْ عِرْضِنَا لَمْ نَزْرَعْ، وَقَدْ كُنَّا يَا رَسُولَ الله فِي جَاهِلِيَّتِنَا وَالعَرَبُ يَأْتُونَنَا، وَلا يَطْمَعُونَ بِهَذَا مِنَّا حَتَّى نَخْرُجَ إِلَيْهِمْ بِأَسْيَافِنَا حَتَّى نَذُبَّهُمْ عَنَّا، فَنَحْنُ اليَوْمَ أَحَقُّ إِذْ أَيَّدَنَا اللهُ بِكَ، وَعَرَفْنَا مَصِيرَنَا، لا نَحْصُرُ أَنْفُسَنَا فِي بُيُوتِنَا.**

وَقَامَ خَيْثَمَةُ أَبُو سَعْدِ بْنُ خَيْثَمَةَ ﷺ، فَقَالَ: **يَا رَسُولَ الله، إِنَّ قُرَيْشًا مَكَثَتْ حَوْلًا تَجْمَعُ الجُمُوعَ وَتَسْتَحْلِبُ العَرَبَ فِي بَوَادِيهَا وَمَنْ تَبِعَهَا مِنْ أَحَابِيشِهَا، ثُمَّ جَاؤُونَا قَدْ قَادُوا الخَيْلَ وَامْتَطَوْا الإِبِلَ حَتَّى نَزَلُوا بِسَاحَتِنَا فَيَحْصُرُونَنَا فِي بُيُوتِنَا وَصَيَاصِينَا، ثُمَّ يَرْجِعُونَ وَافِرِينَ لَمْ يُكْلَمُوا، فَيُجَرِّئُهُمْ ذَلِكَ عَلَيْنَا حَتَّى يَشُنُّوا الغَارَاتِ عَلَيْنَا، وَيُصِيبُوا أَطْرَافَنَا، وَيَضَعُوا العُيُونَ وَالأَرْصَادَ عَلَيْنَا، مَعَ مَا قَدْ صَنَعُوا بِحُرُوثِنَا، وَيَجْتَرِئُ عَلَيْنَا العَرَبُ حَوْلَنَا حَتَّى يَطْمَعُوا فِينَا إِذَا رَأَوْنَا لَمْ نَخْرُجْ إِلَيْهِمْ فَنَذُبَّهُمْ عَنْ جِوَارِنَا، وَعَسَى اللهُ أَنْ يُظْفِرَنَا بِهِمْ فَتِلْكَ عَادَةُ اللهِ عِنْدَنَا، أَوْ تَكُونَ الأُخْرَى فَهِيَ الشَّهَادَةُ، لَقَدْ أَخْطَأَتْنِي وَقْعَةُ بَدْرٍ، وَقَدْ كُنْتُ عَلَيْهَا حَرِيصًا، لَقَدْ بَلَغَ مِنْ حِرْصِي أَنْ سَاهَمْتُ ابْنِي فِي الخُرُوجِ فَخَرَجَ سَهْمُهُ فَرُزِقَ الشَّهَادَةَ وَقَدْ كُنْتُ حَرِيصًا عَلَى الشَّهَادَةِ، وَقَدْ رَأَيْتُ ابْنِي البَارِحَةَ فِي النَّوْمِ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ يَسْرَحُ فِي ثِمَارِ الجَنَّةِ وَأَنْهَارِهَا وَهُوَ يَقُولُ: الحَقْ بِنَا تُرَافِقْنَا فِي الجَنَّةِ، فَقَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا، وَقَدْ وَالله يَا رَسُولَ الله أَصْبَحْتُ مُشْتَاقًا إِلَى مُرَافَقَتِهِ فِي الجَنَّةِ، وَقَدْ كَبِرَتْ سِنِّي، وَرَقَّ عَظْمِي، وَأَحْبَبْتُ لِقَاءَ رَبِّي، فَادْعُ اللهَ يَا رَسُولَ الله أَنْ يَرْزُقَنِي الشَّهَادَةَ وَمُرَافَقَةَ سَعْدٍ فِي الجَنَّةِ.**

فَدَعَا لَهُ رَسُولُ الله ﷺ بِذَلِكَ، فَقُتِلَ بِأُحُدٍ شَهِيدًا.

وَقَالُوا: قَالَ أَنَسُ بْنُ قَتَادَةَ ﷺ: **يَا رَسُولَ الله، هِيَ إِحْدَى الحُسْنَيَيْنِ إِمَّا الشَّهَادَةُ، وَإِمَّا الغَنِيمَةُ وَالظَّفَرُ فِي قَتْلِهِمْ.**

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ الهَزِيمَةَ**». [المغازي للواقدي١/ ٢١٠-٢١٣].

وقال موسى بن عقبة: «... وَكَانَ رِجَالٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يَشْهَدُوا بَدْرًا قَدْ نَدِمُوا عَلَى مَا فَاتَهُمْ مِنَ السَّابِقَةِ، وَتَمَنَّوْا لِقَاءَ العَدُوِّ؛ لِيُبْلَوْا مَا أَبْلَى إِخْوَانُهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ، فَلَـمَّا نَزَلَ أَبُو سُفْيَانَ وَالْمُشْرِكُونَ بِأَصْلِ أُحُدٍ فَرِحَ الـمُسْلِمُونَ الَّذِينَ لَمْ يَشْهَدُوا بَدْرًا بِقُدُومِ العَدُوِّ عَلَيْهِمْ، وَقَالَوا: **قَدْ سَاقَ اللهُ عَلَيْنَا أُمْنِيَتَنَا**».

[البداية والنهاية لابن كثير ٤/ ١٤].

عرض النبي ﷺ عليهم رؤياه وتأويلها، ولكن عاد الذين لم يشهدوا بدرًا فقالوا: «**كُنَّا نَتَمَنَّى هَذَا اليَوْمَ وَنَدْعُو اللهَ، قَدْ سَاقَهُ اللهُ إِلَيْنَا وَقَرُبَ الـمَسِيرُ**.

وَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: **مَتَى نَقَاتِلُهُمْ يَا رَسُولَ اللهِ إِذَا لَمْ نَقَاتِلهُمْ عِنْدَ شِعْبِنَا؟**

وَقَالَ رِجَالٌ: **مَاذَا نَمْنَعُ إِذَا لَمْ تَمْنَعِ الحَرْبُ بِرَوْعٍ؟** (في رواية موسى في دلائل البيهقي: إذا لم نمنع الحرث يزرع).

وَقَالَ رِجَالٌ قَوْلًا صَدَقُوا بِهِ وَمَضَوْا عَلَيْهِ، مِنْهُمْ: حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ﷺ قَالَ: **وَالَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ لَنُجَالِدَنَّهُمْ**.

وَأَبَى كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ إِلَّا الخُرُوجَ إِلَى العَدُوِّ، وَلَمْ يَتَنَاهَوْا إِلَى قَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَرَأْيِهِ، وَلَوْ رَضُوا بِالَّذِي أَمَرَهُمْ كَانَ ذَلِكَ، وَلَكِنْ غَلَبَ القَضَاءُ وَالقَدَرُ.

وَعَامَّةُ مَنْ أَشَارَ عَلَيْهِ بِالخُرُوجِ رِجَالٌ لَمْ يَشْهَدُوا بَدْرًا، قَدْ عَلِمُوا الَّذِي سَبَقَ لِأَصْحَابِ بَدْرٍ مِنَ الفَضِيلَةِ». **[البداية والنهاية لابن كثير ٤/ ١٥]**.

«كانت الكثرة وجمهور الأكابر من الصحابة يرون رأي رسول الله ﷺ، ولاسيما بعد أن أخبرهم برؤياه، فكان رأيهم تبعًا لرأي رسول الله ﷺ.

وكانت كثرة الشباب ومن فاتهم مشهد بدر يرون أن يخرج بهم رسول الله ﷺ إلى عدوهم، ليعوِّضوا ما فاتهم من فضل بدر، وما سمعوه منه ﷺ في فضلها وفضل من شهدها، وكانوا يودُّون لو أتاح الله لهم غزوة ينالون بها مثل ما نال البدريون من الفضل وعظيم الثواب.

وكان مع هؤلاء الشباب بعض الأكابر من المهاجرين والأنصار، مثل أسد الله وأسد رسوله حمزة بن عبد المطلب ﷺ، ومثل سعد بن عبادة سيد الخزرج ﷺ، والنعمان بن مالك ﷺ أحد أبطال الأنصار، وغيرهم من أبطال المجتمع المسلم، وسوَّغوا رأيهم بما رأيناه في أقوالهم رضوان الله عليهم جميعًا».

[محمد رسول الله ﷺ لعرجون ٣/ ٥٥١].

«لقد كانت تلك الحناجر المؤمنة بنصر الله حريصة على الخروج في لهفة على الفوز بإحدى الحسنين، فمسَّت من قلوب المسلمين شِغافها، وحرَّكت فيهم مشاعر الشوق إلى الجنة، وقد تصوَّرت أمام بصائرهم عروسًا في أبهى زينتها تبسط لهم ذراعيها، هؤلاء الذين يَمْهَرونها بأرواحهم ودمائهم في سبيل الله». **[غزوة أحد للشافعي ٤٤]**.

واتضح للرسول ﷺ على أثر هذه المناقشات أن الأغلبية ترى خلاف رأيه، فلم يسعه إلا الاستجابة لرأي هذه الأغلبية، وأعلن أنه خارج لمقاتلة العدو حيث هو بوادي قناة، بالرغم من أنه ﷺ كاره للخروج.

النبي ﷺ يرفض الرجوع إلى رأيه الأول:

بعد ارفضاض المجلس ذهب المسلمون لأداء صلاة الجمعة، وبعد أن صلى النبي ﷺ بالمسلمين «أَمَرَهُمْ بِالتَّهَيُّؤِ لِعَدُوِّهِمْ، ثُمَّ صَلَّى رَسُولُ الله ﷺ العَصْرَ بِالنَّاسِ، وَقَدْ حَشَدَ النَّاسُ وَحَضَرَ أَهْلُ العَوَالِي، وَرَفَعُوا النِّسَاءَ فِي الآطَامِ، فَحَضَرَتْ بَنُو عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ وَلِفُّهَا، وَالنَّبِيتُ وَلِفُّهَا، وَتَلَبَّسُوا السِّلاحَ.

فَدَخَلَ رَسُولُ الله ﷺ بَيْتَهُ وَدَخَلَ مَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رضي الله عنهما، فَعَمَّمَاهُ وَلَبِسَاهُ، وَصَفَّ النَّاسُ لَهُ مَا بَيْنَ حُجْرَتِهِ إِلَى مِنْبَرِهِ يَنْتَظِرُونَ خُرُوجَهُ، فَجَاءَهُمْ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ وَأُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ رضي الله عنهما، فَقَالا: **قُلْتُمْ لِرَسُولِ الله ﷺ مَا قُلْتُمْ، وَاسْتَكْرَهْتُمُوهُ عَلَى الـخُرُوجِ، وَالأَمْرُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ مِنْ السَّمَاءِ فَرُدُّوا الأَمْرَ إِلَيْهِ، فَمَا أَمَرَكُمْ فَافْعَلُوهُ، وَمَا رَأَيْتُمْ لَهُ فِيهِ هَوًى أَوْ رَأْيٌ فَأَطِيعُوهُ.**

فَبَيْنَا القَوْمُ عَلَى ذَلِكَ مِنْ الأَمْرِ وَبَعْضُ القَوْمِ يَقُولُ: القَوْلُ مَا قَالَ سَعْدٌ، وَبَعْضُهُمْ عَلَى البَصِيرَةِ عَلَى الشُّخُوصِ، وَبَعْضُهُمْ لِلخُرُوجِ كَارِهٌ، إِذْ خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ قَدْ لَبِسَ لأْمَتَهُ، وَقَدْ لَبِسَ الدِّرْعَ فَأَظْهَرَهَا، وَحَزَمَ وَسَطَهَا بِمِنْطَقَةٍ مِنْ حَمَائِلِ سَيْفٍ مِنْ أَدَمٍ كَانَتْ عِنْدَ آلِ أَبِي رَافِعٍ مَوْلَى رَسُولِ الله ﷺ بَعْدُ، وَاعْتَمَّ وَتَقَلَّدَ السَّيْفَ.

فَلـمَّا خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ نَدِمُوا جَمِيعًا عَلَى مَا صَنَعُوا، وَقَالَ الذِينَ يُلِحُّونَ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ: **مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُلِحَّ عَلَى رَسُولِ الله فِي أَمْرٍ يَهْوَى خِلافَهُ**، وَنَدَّمَهُمْ أَهْلُ الرَّأْيِ الَّذِينَ كَانُوا يُشِيرُونَ بِالـمُقَامِ، فَقَالُوا: **يَا رَسُولَ الله، مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُخَالِفَكَ فَاصْنَعْ مَا بَدَا لَكَ، وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَسْتَكْرِهَكَ وَالأَمْرُ إِلَى الله، ثُمَّ إِلَيْكَ.**

فَقَالَ ﷺ: «**قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى هَذَا الحَدِيثِ فَأَبَيْتُمْ، وَلا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ إِذَا لَبِسَ لأْمَتَهُ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يَحْكُمَ الله بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَعْدَائِهِ**».

وَكَانَتْ الأَنْبِيَاءُ قَبْلَهُ إِذَا لَبِسَ النَّبِيُّ لأْمَتَهُ لَمْ يَضَعْهَا حَتَّى يَحْكُمَ الله بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَعْدَائِهِ.

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**انْظُرُوا مَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَاتَّبِعُوهُ، امْضُوا عَلَى اسْمِ الله، فَلَكُمْ النَّصْرُ مَا صَبَرْتُمْ**»

[المغازي للواقدي ١/ ٢١٤، والسيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٦٣].

قال البخاري: وَشَاوَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَصْحَابَهُ يَوْمَ أُحُدٍ فِي الـمُقَامِ وَالخُرُوجِ، فَرَأَوْا لَهُ الخُرُوجَ، فَلـمَّا لَبِسَ لأْمَتَهُ وَعَزَمَ قَالُوا: أَقِمْ، فَلَمْ يَمِلْ إِلَيْهِمْ بَعْدَ العَزْمِ، وَقَالَ: «**لَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ يَلْبَسُ لَأْمَتَهُ فَيَضَعُهَا حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ**». **[البخاري تعليقًا كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب قوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨]، ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾[آل عمران: ١٥٩] وَأَنَّ الْمُشَاوَرَةَ قَبْلَ الْعَزْمِ وَالتَّبَيُّنِ لِقَوْلِهِ: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾[آل عمران:١٥٩] فَإِذَا عَزَمَ الرَّسُولُ ﷺ لَمْ يَكُنْ لِبَشَرٍ التَّقَدُّمُ عَلَى الله وَرَسُولِهِ].**

وروى البيهقي عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ، عَنْ عُرْوَةَ، فَذَكَرَ قِصَّةَ أُحُدٍ وَإِشَارَةَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِالْمُكْثِ فِي الْمَدِينَةِ، وَأَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ أَبَوْا إِلَّا الْخُرُوجَ إِلَى الْعَدُوِّ، قَالَ: وَلَوْ تَنَاهَوْا إِلَى قَوْلِ رَسُولِ الله ﷺ وَأَمْرِهِ كَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَلَكِنْ غَلَبَ الْقَضَاءُ وَالْقَدَرُ، قَالَ: وَعَامَّةُ مَنْ أَشَارَ عَلَيْهِ بِالْخُرُوجِ رِجَالٌ لَمْ يَشْهَدُوا بَدْرًا، وَقَدْ عَلِمُوا الَّذِي سَبَقَ لِأَهْلِ بَدْرٍ مِنَ الْفَضِيلَةِ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ الله ﷺ صَلَاةَ الْجُمُعَةِ وَعَظَ النَّاسَ وَذَكَّرَهُمْ وَأَمَرَهُمْ بِالْجِدِّ وَالِاجْتِهَادِ، ثُمَّ انْصَرَفَ مِنْ خُطْبَتِهِ وَصَلَاتِهِ، فَدَعَا بِلَأْمَتِهِ فَلَبِسَهَا، ثُمَّ أَذَّنَ فِي النَّاسِ بِالْخُرُوجِ، فَلَمَّا أَبْصَرَ ذَلِكَ رِجَالٌ مِنْ ذَوِي الرَّأْيِ، قَالُوا: **أَمَرَنَا رَسُولُ الله ﷺ أَنْ نَمْكُثَ بِالْمَدِينَةِ، فَإِنْ دَخَلَ عَلَيْنَا الْعَدُوُّ قَاتَلْنَاهُمْ فِي الْأَزِقَّةِ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِالله وَبِمَا يُرِيدُ، وَيَأْتِيهِ الْوَحْيُ مِنَ السَّمَاءِ، ثُمَّ أَشْخَصْنَاهُ**، فَقَالُوا: **يَا نَبِيَّ الله أَنَمْكُثُ كَمَا أَمَرْتَنَا؟** قَالَ رَسُولُ الله ﷺ «**لَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ إِذَا أَخَذَ لَأْمَةَ الْحَرْبِ وَأَذَّنَ فِي النَّاسِ بِالْخُرُوجِ إِلَى الْعَدُوِّ أَنْ يَرْجِعَ حَتَّى يُقَاتِلَ، وَقَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى هَذَا الْحَدِيثِ، فَأَبَيْتُمْ إِلَّا الْخُرُوجَ، فَعَلَيْكُمْ بِتَقْوَى الله، وَالصَّبْرِ إِذَا لَقِيتُمُ الْعَدُوَّ، وَانْظُرُوا مَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَافْعَلُوهُ**»، فَخَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ. وَذَكَرَ الْحَدِيثَ، وَهَكَذَا ذَكَرَهُ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، وَكَذَلِكَ ذَكَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ شُيُوخِهِ مِنْ أَهْلِ الْمَغَازِي، وَهُوَ عَامٌّ فِي أَهْلِ الْمَغَازِي وَإِنْ كَانَ مُنْقَطِعًا، وَكَتَبْنَاهُ مَوْصُولًا بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ. [السنن الكبرى للبيهقي ٧/ ٦٥ رقم ١٣٢٨١].

مظاهرة النبي ﷺ بين درعين وأخذه بالأسباب:

عَنْ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ عَنْ رَجُلٍ قَدْ سَمَّاهُ: «**أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ ظَاهَرَ يَوْمَ أُحُدٍ بَيْنَ دِرْعَيْنِ، أَوْ لَبِسَ دِرْعَيْنِ**». [أبو داود في الجهاد (٢٥٩٠)، وابن ماجه في الجهاد (٢٨٠٦)، وقال الشيخ الألباني: صحيح، ومسند أحمد ٢٤/ ٤٩٩ رقم ١٥٧٢٢، وقال الشيخ الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين، والمعجم الكبير للطبراني ٧/ ١٥٣ رقم ٦٦٦٩. وظَاهَرَ يَوْمَ أُحُدٍ بَيْنَ دِرْعَيْنِ: أي لبس إحداهما فوق الأخرى، وكأنه من التظاهر بمعنى التعاون والتساعد، كأن جعل إحداهما ظِهارة، والأخرى بطانة. الأساس في السنة ـ السيرة ٢/ ٥٥٦].

وعَنْ الزُّبَيْرِ ﷺ قَالَ: فَرَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ حِينَ ذَهَبَ لِيَنْهَضَ إِلَى الصَّخْرَةِ، وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ قَدْ ظَاهَرَ بَيْنَ دِرْعَيْنِ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَنْهَضَ إِلَيْهَا،... الحديث. [المستدرك على الصحيحين في المغازي والسرايا (٤٣١٢)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي].

وعَنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، يُقَالُ لَهُ: مُعَاذٌ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ ظَاهَرَ يَوْمَ أُحُدٍ بَيْنَ دِرْعَيْنِ. [مجمع الزوائد في المغازي والسير ٦/ ١٥٥ رقم ١٠٠٦٥، وقال الهيثمي: رواه أبو يعلى [مسند أبي يعلى الموصلي ٢/ ٢٤ رقم ٦٦٠ وقال الشيخ أسد: رجاله رجال الصحيح]، ورجاله رجال الصحيح].

وعَنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ مَنْ حَدَّثَهُ، عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ الله ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ظَاهَرَ يَوْمَ أُحُدٍ بَيْنَ دِرْعَيْنِ. [مجمع الزوائد في المغازي والسير ٦/ ١٥٥ رقم ١٠٠٦٦، وقال الهيثمي: رواه أبو يعلى [مسند أبي يعلى الموصلي ٢/ ٢٤ رقم ٦٥٩، وقال الشيخ أسد: رجاله رجال الصحيح إلا أنه منقطع]، وفيه راو لم يسم، وبقية رجاله رجال الصحيح].

وعَنْ سَعْدِ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ ظَاهَرَ بَيْنَ دِرْعَيْنِ يَوْمَ أُحُدٍ.

[مجمع الزوائد في المغازي والسير ٦/ ١٥٥ رقم ١٠٠٦٧، وقال الهيثمي: رواه البزار [مسند البزار ٣/ ٣١١ رقم ١١٠٣]، وفيه إسحاق بن أبي فروة، وهو ضعيف].

وعَنْ أَيُّوبَ بْنِ النُّعْمَانَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ ﷺ، قَالَ: رَأَيْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ دِرْعَيْنِ.

[مجمع الزوائد في المغازي والسير ٦/ ١٥٦ رقم ١٠٠٦، وقال الهيثمي: رواه الطبراني [المعجم الكبير ٢٢/ ٣٠٢، ٣٧٥ رقم ٧٦٧، ٩٣٨، وفي الثاني «العلاء الأنصاري» بدل «النعمان»]، وفيه الواقدي، وهو ضعيف].

وعَن مُحَمَّدِ بنِ مَسلَمَةَ ﷺ قَالَ: رَأَيتُ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ يَومَ أُحُدٍ دِرعَين؛ دِرعَهُ ذاتَ الفُضُولِ، ودِرعَهُ فِضَّةً، ورَأَيتُ عَلَيه يَومَ خَيبَرَ دِرعَين: ذاتَ الفُضُولِ، والسُّغدِيَّةُ.

[الطبقات الكبير لابن سعد ١/ ٤١٩ رقم ١٤٧٧].

سترون غدًا إذا التقى القوم:

عَنْ مُعَاذِ بْنِ رِفَاعَةَ الأَنْصَارِيِّ عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ يُقَالُ لَهُ سُلَيْمٌ: أَتَى رَسُولَ الله ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ يَأْتِينَا بَعْدَمَا نَنَامُ، وَنَكُونُ فِي أَعْمَالِنَا بِالنَّهَارِ، فَيُنَادِي بِالصَّلَاةِ، فَنَخْرُجُ إِلَيْهِ، فَيُطَوِّلُ عَلَيْنَا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ، لَا تَكُنْ فَتَّانًا، إِمَّا أَنْ تُصَلِّيَ مَعِي، وَإِمَّا أَنْ تُخَفِّفَ عَلَى قَوْمِكَ**»، ثُمَّ قَالَ: «**يَا سُلَيْمُ، مَاذَا مَعَكَ مِنْ الْقُرْآنِ؟**»، قَالَ: **إِنِّي أَسْأَلُ اللهَ الْجَنَّةَ، وَأَعُوذُ بِهِ مِنْ النَّارِ، وَالله مَا أُحْسِنُ دَنْدَنَتَكَ** (أي مسألتك الخفية، أو كلامك الخفي، والدندنة: أن يتكلم الرجل بكلام تُسمع نغمته ولا تُفهم)، **وَلَا دَنْدَنَةَ مُعَاذٍ!** فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**وَهَلْ تَصِيرُ دَنْدَنَتِي وَدَنْدَنَةُ مُعَاذٍ إِلَّا أَنْ نَسْأَلَ اللهَ الْجَنَّةَ وَنَعُوذَ بِهِ مِنْ النَّارِ**»، ثُمَّ قَالَ سُلَيْمٌ: **سَتَرَوْنَ غَدًا إِذَا التَقَى الْقَوْمُ إِنْ شَاءَ اللهُ**، قَالَ: وَالنَّاسُ يَتَجَهَّزُونَ إِلَى أُحُدٍ، فَخَرَجَ وَكَانَ فِي الشُّهَدَاءِ ﷺ.

[مسند أحمد في حديث سليم من بني سلمة ﷺ ٣٤/ ٣٠٧ رقم ٢٠٦٩٩، وقال الشيخ الأرناؤوط: صحيح لغيره].

وصيه عبد الله بن حرام ﷺ:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله ﷺ قَالَ: لَـمَّا حَضَرَ أُحُدٌ دَعَانِي أَبِي مِنْ اللَّيْلِ فَقَالَ: **مَا أُرَانِي إِلَّا مَقْتُولًا فِي أَوَّلِ مَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ** ﷺ. [البخاري في الجنائز (١٣٥١)].

وقد ذَكَرَ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ عَنِ الْوَاقِدِيِّ أَنَّ سَبَبَ ظَنِّهِ ذَلِكَ مَنَامٌ رَآهُ، أَنَّهُ رَأَى مُبَشِّرَ بْنَ عَبْدِ الْمُنْذِرِ ﷺ ـ وَكَانَ مِمَّنِ اسْتُشْهِدَ بِبَدْرٍ ـ يَقُولُ لَهُ: أَنْتَ قَادِمٌ عَلَيْنَا فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ، فَقَصَّهَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «**هَذِهِ الشَّهَادَةُ**». [فتح الباري ٣/ ٤٥٨ - ٤٥٩].

وعَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ: قَالَ لِي أَبِي: «**يَا بُنَيَّ، لَا أَدْرِي لِعَلِّي أَنْ أَكُونَ فِي أَوَّلِ مِنْ يُصَابُ غَدًا، وَذَلِكَ يَوْمَ أُحُدٍ، فَأُوصِيكَ بِبُنَيَّاتِ عَبْدِ الله خَيْرًا**»، فَالْتَقَوْا فَأُصِيبَ ذَلِكَ الْيَوْمَ.[المستدرك على الصحيحين في معرفة الصحابة ﷺ ٣/ ٢٢٤ رقم ٤٩١٢، وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي].

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله ﷺ قَالَ: لَـمَّا حَضَرَ قِتَالُ أُحُدٍ دَعَانِي أَبِي مِنَ اللَّيْلِ، فَقَالَ: **إِنِّي لَا أُرَانِي إِلَّا مَقْتُولًا فِي أَوَّلِ مَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ، وَإِنِّي وَالله مَا أَدَعُ أَحَدًا يَعْنِي أَعَزَّ عَلَيَّ مِنْكَ بَعْدَ نَفْسِ رَسُولِ الله ﷺ، وَإِنَّ عَلَيَّ دَيْنًا، فَاقْضِ عَنِّي دَيْنِي وَاسْتَوْصِ بِأَخَوَاتِكَ خَيْرًا**، قَالَ: فَأَصْبَحْنَا فَكَانَ أَوَّلُ قَتِيلٍ، فَدَفَنْتُهُ مَعَ آخَرَ فِي قَبْرٍ، ثُمَّ لَمْ تَطِبْ نَفْسِي أَنْ أَتْرُكَهُ مَعَ آخَرَ فِي قَبْرٍ فَاسْتَخْرَجْتُهُ بَعْدَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ، فَإِذَا هُوَ كَيَوْمِ وَضَعْتُهُ غَيْرَ أُذُنِهِ. [المستدرك على الصحيحين في معرفة الصحابة ﷺ ٣/ ٢٢٤ رقم ٤٩١٣، وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم»، وسكت عنه الذهبي].

صلاة الجنازة قبل الخروج:

«وكَانَ مَالِكُ بْنُ عَمْرٍو النَّجَّارِيُّ ﷺ مَاتَ يَوْمَ الجُمُعَةِ، فَلـَمَّا دَخَلَ رَسُولُ الله ﷺ فَلَبِسَ لأْمَتَهُ ثُمَّ خَرَجَ ـ وَهُوَ مَوْضُوعٌ عِنْدَ مَوْضِعِ الجَنَائِزِ ـ صَلَّى عَلَيْهِ، ثُمَّ دَعَا بِدَابَّتِهِ فَرَكِبَ إِلَى أُحُدٍ».

[المغازي للواقدي ١/ ٢١٤، والسيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٦٣].

عقد الألوية:

وخرج النبي ﷺ إلى العدو على رأس جيش بلغ حوالي ألف مقاتل.

وقد قسم ﷺ هذا الجيش إلى ثلاث كتائب:

١ـ كتيبة المهاجرين، وأعطى علمها لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ.

٢ـ كتيبة الأوس من الأنصار، وأعطى علمها للحُبَابِ بْنِ المُنْذِرِ بْنِ الجَمُوحِ ﷺ.

٣ـ كتيبة الخزرج من الأنصار أيضًا، وأعطى علمها لأُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ ﷺ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَاسْتَعْمَلَ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ ﷺ عَلَى الصَّلَاةِ بِالنَّاسِ. [السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٦٤].

لا نستنصر بأهل الكفر:

عَنْ أَبِي حَمِيدٍ السَّاعِدِيِّ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ يَوْمَ أُحُدٍ حَتَّى إِذَا جَاوَزَ ثَنِيَّةَ الوَدَاعِ فَإِذَا هُوَ بِكَتِيبَةٍ خَشْنَاءَ، فَقَالَ: «**مَنْ هَؤُلَاءِ؟**»، قَالُوا: **عَبْدُ الله بْنِ أُبَيٍّ فِي سِتِّمَائَةٍ مِنْ مَوَالِيهِ مِنَ اليَهُودِ مِنْ بَنِي قَيْنُقَاعٍ**، فَقَالَ: «**وَقَدْ أَسْلَمُوا؟**»، قَالُوا: **لَا يَا رَسُولَ الله**، قَالَ: «**مُرُوهُمْ فَلْيَرْجِعُوا، فَإِنَّا لا نَسْتَعِينُ بِالـمُشْرِكِينَ عَلَى المُشْرِكِينَ**». [مجمع الزوائد ٥/ ٥٥٠ كتاب الجهاد (٩٥٧٠)، وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وفيه سعد بن المنذر بن أبي حميد ذكره ابن حبان في الثقات، فقال: سعد بن أبي حميد فنسبه إلى جده، وبقية رجاله ثقات، المطالب العالية لابن حجر ١٧/ ٣٥٦ كتاب المغازي والسير (٤٢٦٣)، وقال ابن حجر: هذا إسناد حسن].

وعند ابن سعد: «**لا تَسْتَنْصِرُوا بِأَهْلِ الشِّرْكِ عَلَى أَهْلِ الشِّرْكِ**».

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَذَكَرَ غَيْرُ زِيَادٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنِ الزُّهْرِيِّ: إِنَّ الأَنْصَارَ يَوْمَ أُحُدٍ، قَالُوا لِرَسُولِ الله ﷺ: **يَا رَسُولَ الله، أَلَا نَسْتَعِينُ بِحُلَفَائِنَا مِنْ يَهُودَ؟** فَقَالَ ﷺ: «**لَا حَاجَةَ لَنَا فِيهِمْ**».

[السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٦٤].

قال الواقدي: «فَلَـمَّا رَكِبَ رَسُولُ الله ﷺ خَرَجَ السَّعْدَانِ أَمَامَهُ يَعْدُوَانِ ـ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، وَسَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ ـ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا دَارِعٌ وَالنَّاسُ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ حَتَّى سَلَكَ عَلَى البَدَائِعِ (موضع من ديار خثعم. معجم ما استعجم ص ٢٤٤)، ثُمَّ زُقَاقِ الحِسْي (موضع ببطن الرمة. معجم ما استعجم ص ٢٤٧) حَتَّى أَتَى الشَّيْخَيْنِ (موضع بين المدينة وجبل أُحد على الطريق الشرقية مع الحرة إلى جبل أُحد. وفاء الوفا ٢/ ٣٣٣) ـ وَهُمَا أُطُمَانِ كَانَا فِي الجَاهِلِيَّةِ فِيهِمَا شَيْخٌ أَعْمَى وَعَجُوزٌ عَمْيَاءُ يَتَحَدَّثَانِ فَسُمِّيَ الأُطُمَانِ الشَّيْخَيْنِ ـ حَتَّى انْتَهَى إِلَى رَأْسِ الثَّنِيَّةِ (**ثنية الوداع**: هي ثنية مشرفة على المدينة يطؤها من يريد مكة، وهو اسم قديم جاهلي، سُمي لتوديع المسافرين. معجم البلدان ٢/ ٨٦)، التَفَتَ فَنَظَرَ إِلَى كَتِيبَةٍ خَشْنَاءَ لَهَا زَجَلٌ (الصوت الرفيع العالي) خَلْفَهُ فَقَالَ: «**مَا هَذِهِ؟**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، هَؤُلاءِ حُلَفَاءُ ابْنِ أُبَيٍّ مِنْ يَهُودَ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لا نَسْتَنْصِرُ بِأَهْلِ الشِّرْكِ عَلَى أَهْلِ الشِّرْكِ**». [المغازي للواقدي ١/ ٢١٥-٢١٦].

استعراض الجيش ورد الغلمان:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: عَرَضَنِي [عُرِضْتُ عَلَى] رَسُولُ الله ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ فِي الْقِتَالِ [**فِي جَيْشٍ**]، وَأَنَا ابْنُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً، فَلَمْ يُجِزْنِي [فَلَمْ يَقْبَلْنِي]، وَعَرَضَنِي [وَعُرِضْتُ] يَوْمَ الْخَنْدَقِ [ثُمَّ عُرِضْتُ عَلَيْهِ مِنْ قَابِلٍ فِي جَيْشٍ]، وَأَنَا ابْنُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً، فَأَجَازَنِي [فَقَبِلَنِي].

قَالَ نَافِعٌ: فَقَدِمْتُ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ خَلِيفَةٌ، فَحَدَّثْتُهُ هَذَا الْحَدِيثَ، فَقَالَ: «**إِنَّ هَذَا لَحَدٌّ** [فَصْلُ مَا] **بَيْنَ الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ** [**الذُّرِّيَّةِ وَالْمُقَاتِلَةِ**]»، فَكَتَبَ إِلَى عُمَّالِهِ أَنْ يَفْرِضُوا (أي أن يقدروا لهم رزقًا في ديوان الجند، وكانوا يفرقون بين المقاتلة وغيرهم في العطاء، وهو الرزق الذي يجمع في بيت المال ويفرق على مستحقيه) لِمَنْ كَانَ ابْنَ [بَلَغَ] خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَمَنْ كَانَ دُونَ ذَلِكَ فَاجْعَلُوهُ فِي الْعِيَالِ.

[البخاري في المغازي(٤٠٩٧)، وفي الشهادات (٢٦٦٤)، ومسلم في الإمارة (١٨٦٨)، وأبو داود في الخراج والإمارة والفيء (٢٩٥٧) وفي الحدود (٤٤٠٦، ٤٤٠٧)، والترمذي في الأحكام (١٣٦١)، وفي الجهاد (١٧١١)، والنسائي في الطلاق (٣٤٣١)، وابن ماجه في الحدود (٢٥٤٣)، ومسند أحمد ٨/ ٢٨٧ رقم ٤٦٦١].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: عُرِضْتُ يَوْمَ أُحُدٍ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَلِي ابْنُ ثَلَاثَ عَشْرَةَ، فَجَعَلَ أَبِي يَأْخُذُ بِيَدِي فَيَقُولُ: **يَا رَسُولَ الله، إِنَّهُ عَبِلٌ** (ضخم) **الْعِظَامِ، وَإِنْ كَانَ مُؤَذِّنًا**، قَالَ: وَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَعِّدُ فِيَّ الْبَصَرَ وَيُصَوِّبُهُ، ثُمَّ قَالَ: «**رُدَّهُ**»، فَرَدَّنِي. **[المستدرك على الصحيحين في معرفة الصحابة رضي الله عنهم ٣/ ٦٥٠ رقم ٦٣٨٩، وسكت عنه الذهبي، وهو صحيح. الأساس في السنة ٢/ ٥٥٦].**

وقال الواقدي: «وَمَضَى رَسُولُ الله ﷺ حَتَّى أَتَى الشَّيْخَيْنِ فَعَسْكَرَ بِهِ، وَعُرِضَ عَلَيْهِ غِلْمَانٌ: عَبْدُ الله ابْنُ عُمَرَ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، وَالنُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ، وَزَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ، وَالبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ، وَأُسَيْدُ بْنُ ظُهَيْرٍ، وَعَرَابَةُ بْنُ أَوْسٍ، وَأَبُو سَعِيدٍ الخُدْرِيُّ، وَسَمُرَةُ بْنُ جُنْدُبٍ، وَرَافِعُ بْنُ خَدِيجٍ، فَرَدَّهُمْ.

قَالَ رَافِعُ بْنُ خَدِيجٍ: فَقَالَ ظُهَيْرُ بْنُ رَافِعٍ: **يَا رَسُولَ الله، إِنَّهُ رَامٍ**، وَجَعَلْتُ أَتَطَاوَلُ وَعَلَيَّ خُفَّانِ لِي، فَأَجَازَنِي رَسُولُ الله ﷺ، فَلَـمَّا أَجَازَنِي، قَالَ **سَمُرَةُ بْنُ جُنْدُبٍ لِرَبِيبِهِ مُرَيِّ بْنِ سِنَانٍ الحَارِثِيِّ**، وَهُوَ زَوْجُ أُمِّهِ: **يَا أَبَتِ أَجَازَ رَسُولُ الله رَافِعَ بْنَ خَدِيجٍ وَرَدَّنِي، وَأَنَا أَصْرَعُ رَافِعَ بْنَ خَدِيجٍ**، فَقَالَ مُرَيُّ بْنُ سِنَانٍ الحَارِثِيُّ: **يَا رَسُولَ الله، رَدَدْتَ ابْنِي وَأَجَزْتَ رَافِعَ بْنَ خَدِيجٍ وَابْنِي يَصْرَعُهُ**، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**تَصَارَعَا**»، فَصَرَعَ سَمُرَةُ رَافِعًا، فَأَجَازَهُ رَسُولُ الله ﷺ، وَكَانَتْ أُمُّهُ امْرَأَةً مِنْ بَنِي أَسَدٍ».

[المغازي للواقدي ١/ ٢١٦، السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٦٦].

لَعَلَّكَ جَزِعْتَ:

عَنِ الشَّعْبِيِّ: أَنَّ امْرَأَةً دَفَعَتْ إِلَى ابْنِهَا يَوْمَ أُحُدٍ السَّيْفَ، فَلَمْ يُطِقْ حَمْلَهُ، فَشَدَّتْهُ عَلَى سَاعِدِهِ بِنِسْعَةٍ (سير يضفر عريضًا على هيئة أعنة النعال، تشد به الرحال ويجعل زمامًا للبعير وغيره)، ثُمَّ أَتَتْ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ الله، هَذَا ابْنِي يُقَاتِلُ عَنْكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَيْ بُنَيَّ، احْمِلْ هَا هُنَا، أَيْ بُنَيَّ، احْمِلْ هَا هُنَا**»، فَأَصَابَتْهُ جِرَاحَةٌ، فَصُرِعَ فَأُتِي به النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «**أَيْ بُنَيَّ، لَعَلَّكَ جَزِعْتَ؟**» قَالَ: **لَا يَا رَسُولَ الله.**

[المصنف لابن أبي شيبة ٢٠/ ٣٥٩ كتاب المغازي باب في أُحد وما جاء فيها رقم ٣٧٩٣٧، وقال الشيخ عوَّامة: هذا حديث مرسل، إسناده حسن من أجل عطاء بن السائب، ومراسيل الشعبي صحيحة].

المبيت بين أُحُد والمدينة:

وفي منطقة الشيخين وحيث استعرض الرسول ﷺ جيشه أدركهم المساء، فأذَّن بلال بالمغرب، فصلى النبي ﷺ بأصحابه، ثم أذَّن بالعشاء فصلى بهم، وبات بذلك الموضع القريب من معسكر المشركين.

وقد انتخب مفرزة لحراسة المعسكر قوامها خمسون رجلًا، باتوا يقومون بأعمال الدورية طائفين حول المعسكر، وقد أعطى الرسول ﷺ قيادة قوة الحراسة هذه إلى محمد بن مسلمة الأنصاري ﷺ.

[غزوة أُحد لباشميل ٧٣].

حراسة النبي ﷺ:

قال الواقدي: «وَقَدْ كَانَ رَسُولُ الله ﷺ، قَالَ حِينَ صَلَّى العِشَاءَ: «**مَنْ يَحْفَظُنَا اللَّيْلَةَ؟**»، فَقَامَ رَجُلٌ، فَقَالَ: **أَنَا يَا رَسُولَ الله**، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ أَنْتَ؟**»، قَالَ: **ذَكْوَانُ بْنُ عَبْدِ قَيْسٍ**، قَالَ: «**اجْلِسْ**»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ رَجُلٌ يَحْفَظُنَا هَذِهِ اللَّيْلَةَ؟**»، فَقَامَ رَجُلٌ، فَقَالَ: أَنَا، فَقَالَ: «**مَنْ أَنْتَ؟**»، قَالَ: **أَنَا أَبُو سَبُعٍ**، قَالَ: «**اجْلِسْ**»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ رَجُلٌ يَحْفَظُنَا هَذِهِ اللَّيْلَةَ؟**»، فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: أَنَا، فَقَالَ: «**وَمَنْ أَنْتَ؟**» قَالَ: **ابْنَ عَبْدِ قَيْسٍ**، قَالَ: «**اجْلِسْ**»، وَمَكَثَ رَسُولُ الله ﷺ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: «**قُومُوا ثَلَاثَتُكُمْ**»، فَقَامَ ذَكْوَانُ بْنُ عَبْدِ قَيْسٍ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَيْنَ صَاحِبَاكَ؟**»، فَقَالَ ذَكْوَانُ: **أَنَا الَّذِي كُنْتُ أَجَبْتُكَ اللَّيْلَةَ**، قَالَ: «**فَاذْهَبْ حَفِظَكَ الله**».

قَالَ: فَلَبِسَ دِرْعَهُ وَأَخَذَ دَرَقَتَهُ وَكَانَ يَطُوفُ بِالعَسْكَرِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، وَيُقَالُ: كَانَ يَحْرُسُ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمْ يُفَارِقْهُ». [المغازي للواقدي ١/ ٢١٧].

التمرد في جيش المدينة ومحاولة نصح المتمردين:

وقبل طلوع الفجر بقليل أدلج الرسول ﷺ بجيشه، حتى إذا كانوا بالشوط أدركتهم صلاة الصبح فصلى بأصحابه وعليهم السلاح؛ لأن العدو كان قريبًا منهم، يرونه ويراهم.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالشَّوْطِ بَيْنَ المَدِينَةِ وَأُحُدٍ، انْخَزَلَ عَنْهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ بن سَلُولَ بِثُلُثِ النَّاسِ، وَقَالَ: **أَطَاعَهُمْ وَعَصَانِي، مَا نَدْرِي عَلَامَ نَقْتُلُ أَنْفُسَنَا هَاهُنَا أَيُّهَا النَّاسُ**، فَرَجَعَ بِمَنْ اتَّبَعَهُ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ أَهْلِ النِّفَاقِ وَالرَّيْبِ، وَاتَّبَعَهُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ، أَخُو بَنِي سَلِمَةَ، يَقُولُ: **يَا قَوْمِ، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ أَلَّا تَخْذُلُوا قومكم ونبيّكم عِنْد مَا حَضَرَ مِنْ عَدُوِّهِمْ**، فَقَالُوا: **لَوْ نَعْلَمُ أَنَّكُمْ تُقَاتِلُونَ لَمَا أَسْلَمْنَاكُمْ، وَلَكِنَّا لَا نَرَى أَنَّهُ يَكُونُ قِتَالٌ.**

قَالَ: فَلَمَّا اسْتَعْصَوْا عَلَيْهِ وَأَبَوْا إِلَّا الِانْصِرَافَ عَنْهُمْ، قَالَ: **أَبْعَدَكُمُ اللهُ أَعْدَاءَ اللهِ، فَسَيُغْنِي اللهُ عَنْكُمْ نَبِيَّهُ.** [السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٦٤، وقال العلي: سنده حسن، وهو مرسل. صحيح السيرة النبوية ص ٢٠٤].

وقال الواقدي: «وَأَقْبَلَ ابْنُ أُبَيٍّ فَنَزَلَ نَاحِيَةً مِنَ العَسْكَرِ، فَجَعَلَ حُلَفَاؤُهُ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ المُنَافِقِينَ يَقُولُونَ لابْنِ أُبَيٍّ: **أَشَرْتَ عَلَيْهِ بِالرَّأْيِ وَنَصَحْتَهُ وَأَخْبَرْتَهُ أَنَّ هَذَا رَأْيُ مَنْ مَضَى مِنْ آبَائِكَ، وَكَانَ ذَلِكَ رَأْيَهُ مَعَ رَأْيِكَ فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهُ وَأَطَاعَ هَؤُلَاءِ الغِلْمَانَ الَّذِينَ مَعَهُ**، فَصَادَفُوا مِنْ ابْنِ أُبَيٍّ نِفَاقًا وَغِشًّا».

[المغازي للواقدي ١/ ٢١٦].

في هذا المكان تمرَّد عبد الله بن أُبيٍّ، وانسحب راجعًا إلى المدينة بثلاثمائة مقاتل، كانوا قد خرجوا ضمن جيش النبي ﷺ، وكان هؤلاء جميعًا من المنافقين.

وقد رجع هذا المنافق (ابن أبي) بكتيبة النفاق هذه، وانفصل بها عن الجيش النبوي في ذلك الظرف الدقيق، متظاهرًا بالاحتجاج بأن الرسول ﷺ عصاه وأطاع غيره من الشباب حينما قرر الخروج إلى العدو، الأمر الذي كان يعارض فيه.

لقد «ارْتَحَلَ ابْنُ أُبَيٍّ مِنْ ذَلِكَ المَكَانِ فِي كَتِيبَةٍ كَأَنَّهُ هَيْقٌ (الظليم، وهو الذكر من النعام، والأنثى هيقة، ويريد هنا سرعة ذهابه) يَقْدُمُهُمْ، فَاتَّبَعَهُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو ابْنِ حَرَامٍ ﷺ، فَقَالَ: **أُذَكِّرُكُمُ اللهَ وَدِينَكُمْ وَنَبِيَّكُمْ وَمَا شَرَطْتُمْ لَهُ أَنْ تَمْنَعُوهُ مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ وَأَوْلَادَكُمْ وَنِسَاءَكُمْ.**

فَقَالَ ابْنُ أُبَيٍّ: **مَا أَرَى يَكُونُ بَيْنَهُمْ قِتَالٌ، وَلَئِنْ أَطَعْتَنِي يَا أَبَا جَابِرٍ لَتَرْجِعَنَّ، فَإِنَّ أَهْلَ الرَّأْيِ وَالحِجَا قَدْ رَجَعُوا، وَنَحْنُ نَاصِرُوهُ فِي مَدِينَتِنَا، وَقَدْ خَالَفَنَا وَأَشَرْتُ عَلَيْهِ بِالرَّأْيِ فَأَبَى إِلَّا طَوَاعِيَةَ الغِلْمَانِ.**

فَلَـمَّا أَبَى عَلَى عَبْدِ الله ﷺ أَنْ يَرْجِعَ، وَدَخَلُوا أَزِقَّةَ المَدِينَةِ، قَالَ لَهُمْ أَبُو جَابِرٍ ﷺ: **أَبْعَدَكُمْ اللهُ، إِنَّ اللهَ سَيُغْنِي النَّبِيَّ وَالـمُؤْمِنِينَ عَنْ نَصْرِكُمْ.**

فَانْصَرَفَ ابْنُ أُبَيٍّ وَهُوَ يَقُولُ: **أَيَعْصِينِي وَيُطِيعُ الوِلْدَانَ؟**

وَانْصَرَفَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ ﷺ يَعْدُو حَتَّى لَـحِقَ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ يُسَوِّي الصُّفُوفَ». **[المغازي للواقدي ١/ ٢١٩].**

هدف المنافقين من التمرد:

«ولا شك أن الباعث الرئيس لهذا التمرد لم يكن ـ كما ادَّعى زعيم المنافقين ـ مخالفة الرسول ﷺ لرأي عبد الله بن أُبي حول المكان الذي يلقى فيه المسلمون المشركين.

وإنما الباعث الحقيقي لهذا التمرد في ذلك الظرف الدقيق، هو إحداث البلبلة والاضطراب في جيش المسلمين على مرأى ومسمع من عدوِّهم؛ ليكون ذلك أسرع في القضاء عليهم.

ولقد كاد ينجح رأس النفاق في تحقيق ما كان يهدف إليه من تمزيق جيش المسلمين ونسف وحدته وكاد الاضطراب والاختلاف يحدث داخل الجيش النبوي على أثر انسحاب هذا المنافق بعصابته الخائنة، فقد هَمَّ بنو حارثة من الأوس وبنو سلمة من الخزرج، بالانسحاب والعودة إلى المدينة، متأثرين بوساوس ذلك المنافق الكبير.

وكادت تكون كارثة لو أنهم انسحبوا وخذلوا نبيهم، غير أن الله تولى هاتين القبيلتين فثبتهما، فعدلتا عن الانسحاب، واستمرتا على ولائهما للرسول ﷺ حتى نهاية المعركة». [غزوة أُحد لباشميل ٧٤-٧٥].

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله ﷺ قَالَ: فِينَا نَزَلَتْ: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾[آل عمران: ١٢٢]، قَالَ: نَحْنُ الطَّائِفَتَانِ بَنُو حَارِثَةَ، وَبَنُو سَلِمَةَ، وَمَا نُحِبُّ ـ وَقَالَ سُفْيَانُ مَرَّةً: وَمَا يَسُرُّنِي ـ أَنَّهَا لَمْ تُنْزَلْ؛ لِقَوْلِ الله ﷻ: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾.

[البخاري في تفسير القرآن (٤٥٥٨)، وفي المغازي (٤٠٥١)، ومسلم في فضائل الصحابة ﷺ (٢٥٠٥)].

فشل مؤامرة التمرد:

لا شك أن حركة التمرد الخبيثة التي قام بها رأس النفاق في ذلك الظرف، هي مؤامرة خسيسة، قصد بها المنافقون تفتيت وحدة الجيش الإسلامي وإضعاف قوته وهو على أبواب معركة حياة أو موت، وهي لا شك مؤامرة فظيعة للغاية.

ولكن هذه المؤامرة ـ ولله الحمد ـ فشلت فشلًا ذريعًا؛ إذ لم ينجح رأس النفاق إلا في الانسحاب بأصحابه من أهل الريبة والنفاق، الذين قد يكون بقاؤهم داخل الجيش المحمدي ساعة القتال عاملًا من عوامل تحطيم الجيش الإسلامي.

إذ لا يبعد ـ وهذه نواياهم الخبيثة ـ إذا ما بقوا داخل الجيش المحمدي حتى النهاية، أن يميلوا على المسلمين وهم داخل الجيش فيضربوهم ساعة احتدام المعركة، ثم ينضمون إلى العدو.

فكأن الله ﷻ كشف نياتهم الخبيثة وهم لا يزالون في منتصف الطريق، فكان رجوعهم من ذلك المكان بمثابة تصفية للجيش المحمدي، أراد الله بها تطهير هذا الجيش من عناصر التآمر والانهزامية والخذلان؛ ليلقى المسلمون عدوهم، وهم وحدة متماسكة وكتلة متراصة.

فانطبق على هؤلاء المنافقين قوله تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾[التوبة]». [غزوة أُحد لباشميل ٧٦-٧٧].

اختلاف جديد داخل الجيش الإسلامي:

وبعد أن أخذ المنافقون في الانسحاب من الجيش، اختلف المسلمون فيما يصنعون حيال هذا التمرد الخطير الذي قاده عبد الله بن أُبي في تلك اللحظات الخطيرة التي كان الجيش المسلم يمر بها.

عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ﷺ قَالَ: لَـمَّا خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى أُحُدٍ رَجَعَ نَاسٌ مِمَّنْ خَرَجَ مَعَهُ [مِنْ أَصْحَابِهِ]، وَكَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ فِرْقَتَيْنِ: فِرْقَةً تَقُولُ: نُقَاتِلُهُمْ [نَقْتُلُهُمْ]، وَفِرْقَةً تَقُولُ: لَا نُقَاتِلُهُمْ [نَقْتُلُهُمْ]، فَنَزَلَتْ: ﴿ ۞ فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟ ۗ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا۟ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾﴾ [النساء]، وَقَالَ ﷺ: «**إِنَّهَا طَيْبَةُ تَنْفِي الذُّنُوبَ [الخَبَثَ] [الرِّجَالَ] كَمَا تَنْفِي النَّارُ خَبَثَ الفِضَّةِ [الحَدِيدِ]**». **[البخاري في المغازي (٤٠٥٠)، وفي التفسير (٤٥٨٩)، وفي فضائل المدينة (١٨٨٤)، ومسلم في صفات المنافقين (٢٧٧٦)، والترمذي في تفسير القرآن (٣٠٢٨)، ومسند أحمد رقم ٢١٥٩٩، ٢١٦٣٠، ٢١٦٣٤، ٢١٦٣٦]**.

فقد رأى فريق من قادة جيش النبي ﷺ تأديب هؤلاء المتمردين والقضاء عليهم للتخلص منهم قبل الاشتباك مع جيش المشركين.

ولكن فريقًا آخر ـ وعلى رأسهم النبي القائد الأعلى ﷺ ـ رأوا غير الرأي الأول، رأوا ترك هؤلاء المتمردين وشأنهم الآن.

وهذا الرأي ـ دونما جدال ـ هو غاية في الحكمة والصواب؛ لأن مقاتلة المتمردين في تلك الساعات الحرجة فيه من الخطورة على سلامة الجيش الإسلامي ما لا يخفى على أي خبير عسكري يقدر النتائج.

فمقاتلة المتمردين في تلك الساعة يجعل المسلمين بين نارين، جيش المشركين وهؤلاء المتمردين، وهذا مما يسهل على جيش مكة الإحاطة بجيش المدينة وضربه ضربة قد تكون مدمِّرة قاضية.

وبهذا الموقف الذي سيطرت فيه قيادة الجيش العليا على الأعصاب إزاء ذاك التمرد الغادر، أثبت الرسول القائد ﷺ بأنه يجب أن يكون ـ عن جدارة واستحقاق ـ على رأس أمهر قادة العالم العسكريين خبرة ودراية وإدارة وحنكة. [غزوة أُحد لباشميل ٧٧-٧٨].

خلاصة الجيش بعد التمرد:

وبعد حادثة تمرد المنافقين وانسحابهم إلى المدينة بقي النبي ﷺ في سبعمائة مقاتل فقط، واصل السير بهم نحو جبل أُحد؛ ليقاتل بهم ثلاثة آلاف يفضلونهم من ناحية التسلح والتموين في كل شيء إلا العقيدة والإيمان. [غزوة أُحد لباشميل ٧٨].

إلى أُحد:

ولما كان المشركون قد سبقوا المسلمين إلى وادي قناة وعسكروا فيه بالسبخة قبل خروج المسلمين من المدينة، ولما كان النبي ﷺ يجهل كل المسالك إلى أُحد في تلك المنطقة لحداثة عهده بها، فقد طلب ممن لهم خبرة بالمسالك والطرق في تلك المنطقة أن يدلوه، على طريق يفضي به إلى الشعب من جبل أحد دون أن يمر على جيش مكة المنتشر في السبخة من الوادي، والذي كان يحول ـ في مناطق كثيرة ـ بين المسلمين وبين الشِّعب من أُحد. [غزوة أُحد لباشميل ٧٨-٧٩].

الدليل إلى أُحد والمنافق أعمى القلب أعمى البصر:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «**مَنْ رَجُلٌ يَخْرُجُ بِنَا عَلَى القَوْمِ مِنْ كَثَبٍ ـ أَيْ مِنْ قُرْبٍ ـ مِنْ طَرِيقٍ لَا يَمُرُّ بِنَا عَلَيْهِمْ؟**»، فَقَالَ أَبُو خَيْثَمَةَ أَخُو بَنِي حَارِثَةَ بْنِ الحَارِثِ: **أَنَا يَا رَسُولَ الله!** فَنَفَذَ بِهِ فِي حِرَّةِ بَنِي حَارِثَةَ، وَبَيْنَ أَمْوَالِهِمْ حَتَّى سَلَكَ فِي مَالٍ (حَائِطٍ) لِمِرْبَعِ بْنِ قَيْظِيٍّ، وَكَانَ رَجُلًا مُنَافِقًا ضَرِيرَ البَصَرِ، فَلَمَّا سَمِعَ حِسَّ رَسُولِ الله ﷺ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ المُسْلِمِينَ قَامَ يَحْثِي فِي وُجُوهِهِمْ التُّرَابَ، وَيَقُولُ: **إِنْ كُنْتَ رَسُولَ الله، فَإِنِّي لَا أُحِلُّ لَكَ أَنْ تَدْخُلَ حَائِطِي.**

وَقَدْ ذُكِرَ لِي أَنَّهُ أَخَذَ حَفْنَةً مِنْ تُرَابٍ فِي يَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: **وَالله لَوْ أَعْلَمُ أَنِّي لَا أُصِيبُ بِهَا غَيْرَكَ يَا مُحَمَّدُ لَضَرَبْتُ بِهَا وَجْهَكَ.**

فَابْتَدَرَهُ القَوْمُ لِيَقْتُلُوهُ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَا تَقْتُلُوهُ، فَهَذَا الأَعْمَى أَعْمَى القَلْبِ، أَعْمَى البَصَرِ**».

وَقَدْ بَدَرَ إِلَيْهِ سَعْدُ بْنُ زَيْدٍ، أَخُو بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ، قَبْلَ نَهْيِ رَسُولِ الله ﷺ عَنْهُ، فَضَرَبَهُ بِالقَوْسِ فِي رَأْسِهِ فَشَجَّهُ. [السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٦٥، المغازي للواقدي ١/ ٢١٧-٢١٨].

وهكذا تحرك الجيش الإسلامي، فسلك به الدليل أبو خيثمة ﷺ طريقًا قصيرًا وصل به إلى الشِّعب من أُحُد دون أن يمر على عسكر مكة.

فقد نفَذَ الدليل بالمسلمين في حرَّة بني حارثة وبين مزارعهم متجهًا بهم شمالًا نحو جبل أُحُد، وتاركًا جيش المشركين شماله غربًا. [غزوة أُحد لباشميل ٧٩].

حادثة تفاءل بها الرسول ﷺ:

«وَمَضَى رَسُولُ الله ﷺ حَتَّى سَلَكَ فِي حَرَّةِ بَنِي حَارِثَةَ، فَبَيْنَا هُوَ فِي مَسِيرِهِ إِذْ ذَبَّ فَرَسُ أَبِي بَرْدَةَ بْنِ نِيَارٍ ﷺ بِذَنَبِهِ فَأَصَابَ كُلَّابَ (مسمار يكون في قائم السيف، وفيه الذؤابة لتعلقه بها) سَيْفِهِ فَسَلَّ سَيْفَهُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**يَا صَاحِبَ السَّيْفِ، شِمْ سَيْفَكَ ـ أي اغمده ـ فَإِنِّي إِخَالُ السُّيُوفَ سَتُسَلَّ فَيَكْثُرُ سَلُّهَا**»، وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ يُحِبُّ الفَأْلَ وَيَكْرَهُ الطِّيَرَةَ». [المغازي للواقدي ١/ ٢١٨، والسيرة لابن هشام ٢/ ٦٤].

مبلغ قوة جيش المدينة:

وقد بلغت قوة جيش النبي ﷺ ـ قبل أن يتمرد المنافقون ـ ألف مقاتل، يقابلهم من جانب المشركين ثلاثة آلاف مقاتل، وبعد أن تمرد المنافقون صار جيش الرسول ﷺ سبعمائة مقاتل فقط.

ولم يكن مع المسلمين من **سلاح الوقاية** سوى مائة دارع، بينما يوجد في جيش المشركين سبعمائة دارع.

كما أن المسلمين ليس لهم من **سلاح المطاردة** أكثر من فرسين: لرسول الله ﷺ ولأَبِي بَرْدَةَ بْنِ نِيَارٍ ﷺ، بينما يوجد في جيش مكة من هذا السلاح المهم مائتا فرس». [غزوة أُحد لباشميل ٦٩].

دعاء عبد الله بن جحش وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما:

عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، حَدَّثَنِي أَبِي ﷺ أَنَّ عَبْدَ الله بْنَ جَحْشٍ ﷺ قَالَ يَوْمَ أُحُدٍ: **أَلَا تَأْتِي نَدْعُو الله؟**، فَخَلَوْا فِي نَاحِيَةٍ، فَدَعَا سَعْدٌ ﷺ فَقَالَ: **يَا رَبِّ إِذَا لَقِينَا الْقَوْمَ [الْعَدُوَّ] غَدًا، فَلَقِّنِي رَجُلًا شَدِيدًا بَأْسُهُ، شَدِيدًا حَرْدُهُ** (حرَد عليه حَرْدًا: غضب واغتاظ فتحرش بالذي غاظه وهَمَّ به، فهو حَرِدٌ وحُرْدان)، **فَأُقَاتِلُهُ فِيكَ وَيُقَاتِلُنِي، ثُمَّ ارْزُقْنِي عَلَيْهِ الظَّفَرَ حَتَّى أَقْتُلَهُ، وَآخُذَ سَلَبَهُ** (ما يُسلب من القتيل)، [فَأَمَّنَ عَبْدُ الله ﷺ]، فَقَامَ عَبْدُ الله بْنُ جَحْشٍ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: **اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي غَدًا رَجُلًا شَدِيدًا حَرْدُهُ، شَدِيدًا بَأْسُهُ، أُقَاتِلُهُ فِيكَ وَيُقَاتِلُنِي، ثُمَّ يَأْخُذُنِي، فَيَجْدَعُ أَنْفِي وَأُذُنِي، فَإِذَا لَقِيتُكَ غَدًا قُلْتَ: يَا عَبْدَ الله فِيمَ جُدِعَ أَنْفُكَ وَأُذُنُكَ؟ فَأَقُولُ: فِيكَ وَفِي رَسُولِكَ، فَيَقُولُ: صَدَقْتَ.**

قَالَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ: **يَا بُنَيَّ كَانَتْ دَعْوَةُ عَبْدِ الله بْنِ جَحْشٍ خَيْرًا مِنْ دَعْوَتِي، لَقَدْ رَأَيْتُهُ آخِرَ النَّهَارِ، وَإِنَّ أُذُنَهُ وَأَنْفَهُ لَمُعَلَّقَانِ فِي خَيْطٍ.**

قَالَ سَعْدٌ ﷺ: **كَانَتْ دَعْوَتُهُ خَيْرًا مِنْ دَعْوَتِي، فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ آخِرَ النَّهَارِ، وَإِنَّ أَنْفَهُ وَأُذُنَهُ لَمُعَلَّقٌ فِي خَيْطٍ**».

[المستدرك للحاكم في الجهاد ٢/ ٨٦ رقم ٢٤٠٩، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. ومجمع الزوائد ٩/ ٤٩٦ كتاب المناقب (١٥٦٥٢)، وقال الهيثمي: رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح، والسنن الكبرى للبيهقي ٦/ ٥٠١ رقم ١٢٧٦٩، وسير أعلام النبلاء للذهبي ١/ ١١٢، وسبل الهدى والرشاد ٤/ ٣٢٢].

وعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ جَحْشٍ ﷺ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أُقْسِمُ عَلَيْكَ أَنْ أَلْقَى الْعَدُوَّ غَدًا فَيَقْتُلُونِي، ثُمَّ يَبْقُرُوا بَطْنِي، وَيَجْدَعُوا أَنْفِي وَأُذُنِي، ثُمَّ تَسْأَلُنِي بِمَا ذَاكَ؟ فَأَقُولُ: فِيكَ**»، قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ: «**إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَبَرَّ اللهُ آخِرَ قَسَمِهِ كَمَا بَرَّ أَوَّلَهُ**». [المستدرك للحاكم في معرفة الصحابة ﷺ ٣/ ٢٢٠ رقم ٤٩٠٢، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين لولا إرسالٌ فيه، وقال الذهبي: مرسل صحيح].